ـ « يا أبه !.. فإذن لا نبالي([388]) ! ». وهكذا كانوا جميعاً لا يبالون ما يلقون، ما علموا أنّهم قائمون بالحقّ وعليه يموتون. وأراد الحسين ـ وقد علم أنّ التسليم لا يكون ـ أن يبقى للموت وحده وألاّ يعرّض له أحداً من صحبه. فجمعهم مرّة بعد مرّة وهو يقول لهم في كلّ مرّة: « لقد بررتم وعاونتم والقوم لا يريدون غيري، ولو قتلوني لم يبتغوا غيري أحداً.. فإذا جنّكم الليل فتفرّقوا في سواده وانجوا بأنفسكم »([389]). فكأنّما كان قد أراد لهم الهلاك ولم يرد النجاة، وفزعوا من رجائهم إيّاه كما يفزع غيرهم من مطالبتهم بالثبات والبقاء. وقالوا له ـ كأنّهم يتكلّمون بلسان واحد ـ: « معاذ ا والشهر الحرام.. ماذا نقول للناس إذا رجعنا إليهم ؟ أنقول لهم إنّا تركنا سيّدنا وابن سيّدنا وعمادنا، تركناه غرضاً للنبل ودريئة للرماح وجزراً للسباع، وفررنا عنه رغبة في الحياة ؟! معاذ ا.. بل نحيا بحياتك ونموت معك ». قالوا له: « نموت معك ولك رأيك ».. ولم يخطر لأحد منهم أن يزيّن له العدول عن رأيه إيثاراً لنجاتهم ونجاته. ولو خادعوا أنفسهم قليلاً لزيّنوا له التسليم وسمّوه نصيحة مخلصين يريدون له الحياة، ولكنّهم لم يخادعوا